

## نصوص من هيرتا موللر

### Herta Mueller

عن الألمانية: إبراهيم أبو هشيش

ولدت هيرتا موللر عام ١٩٥٣ في قرية نيتزي دورف في رومانيا لعائلة ألمانية شفايبية من منطقة بانات. عام ١٩٨٢ نشرت مجموعتها القصصية الأولى "منخفضات" التي لم يسمح لها بالنشر إلا بعد أن خضعت للرقابة. انتقلت عام ١٩٨٧ إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية.

من أهم أعمالها:

- فبراير الحافي القدامين. برلين، ١٩٨٧.
  - الشيطان يجلس في المرأة. برلين، ١٩٨٩.
  - الثعلب كان في ذلك الوقت هو الصياد. هامبورغ، ١٩٩٢.
  - حيوان القلب. هامبورغ، ١٩٩٤.
  - الجوع و الحرير (مقالات). هامبورغ، ١٩٩٥.
  - الملك ينحني ويقتل. ميونيخ، ٢٠٠٣.
  - السادة الشاحبون ذوو الفناجين، ميونيخ ٢٠٠٦.
  - أرجوحة النفس، ميونيخ، ٢٠٠٩.
- فازت بجائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٩، يمتاز أسلوبها بلغة شعرية محلقة. ترجمت بعض أعمالها الروائية إلى اللغة العربية في المدة الأخيرة. (المترجم)

## السيد فولتشممان

للسيد فولتشممان أنف يشبه المعول. حاملما يستيقظ السيد فولتشممان صباحا كعادته بدون منبه يمّسك فوراً بأنفه. وهو يستيقظ كل صباح في الوقت نفسه، فالرجل الذي هو رجل يقول السيد فولتشممان تجري الدقة في دمه. حين يسأل السيد فولتشممان عن عمره يقول: في السنوات الأولى ، ومنذ سنوات طويلة يقول السيد فولتشممان: في أفضل سنيّ عمري. أو: إن المرء متقدم في السن بحسب ما يشعر. أو: إنه على أية حال أصغر سنا من الطريق العام. ودائماً حين يتحدث السيد فولتشممان عن عمره فإنه يكشف عن عضلات عن عضده اليمنى. السيد فولتشممان يبرز عضلاته حتى تحتشد الأوردة في جبينه وفي عنقه. ودوماً حين يتحدث السيد فولتشممان عن عمره يشرع في التحسّر على الزمن الذي بات بدون قيمة لدرجة أنه يخسر وقته. هذا الزمن ينحل أحياناً، يقول السيد فولتشممان. الزمن كسول. فلا شيء يحدث ويجعل الأنفاس تتوقف. لم يعد الناس يعيشون في الزمن لأن الزمن لم يعد هو الزمن. إنه زمن تتبدل فيه الأزمان، يقول السيد فولتشممان. إنه الزمن الأقصى. يتذكر السيد فولتشممان زمن الحرب العالمية الثانية. تلك كانت أزمان، يقول السيد فولتشممان. ففي ذلك الوقت كان المرء يعيش حياته. وكل شخص في ذلك الوقت عاش حياته حتى النهاية إذا لم يكن قد مات. لقد خاطر كل شخص في ذلك الوقت بحياته. ولا أحد عاش آنذاك داخل اليوم، يقول السيد فولتشممان. كثيرون كانوا أكثر غباء من أن يستطيعوا النجاة. لم يدركوا كم هي الأزمان التي يعيشون فيها متحركة. لم يتحركوا مع الزمن لأنهم كانت تنقصهم المرونة. لم يدركوا أن ما يفعله الإنسان بالوقت يؤثر في الحياة والموت. وما لم يفعله بالوقت يؤثر في الحياة والموت. أولاً أنا، ثم أنا، ثم بعد ذلك طويلاً لا شيء، ثم يأتي الآخرون. لا تنظر شمالاً أو يمينا بل نحو الأمام فقط وبتصميم ، أطلق النار ثلاث مرات قبل أن تطلق النار عليك، يقول السيد فولتشممان. ولا رفاق، وإلا فسوف يتوجب على المرء أن يساعد الآخرين بدلا من مساعدة نفسه ، ولا نساء وإلا فإن المرء سوف يكون عرضة للاستغلال، وإلا فإن الإنسان سوف ينصرف عن نفسه ذاتها. ولا مشاعر مع الآخرين فكل المشاعر ينبغي أن تكون للقضايا، لقضية واحدة، يقول السيد فولتشممان. إن القضية هي شيء دائماً. وقضية ما ليست إنساناً أبداً ولا يمكن لأحد أن يسبب لها الضرر، يقول السيد فولتشممان. دائماً يتوجب أن تكون في اللحظة المناسبة مع القضية المناسبة.

لم يحدث قط أن تركت أي شيء للنساء، يقول السيد فولتشممان. لا دور على الإطلاق للنساء في الحرب. إنهن لا يفقهن شيئاً عن مرور الوقت، من علم التاريخ. مشاعرهن مكرسة دائماً لإنسان ما، وليس أبداً لقضية. النساء يقول السيد فولتشممان يدفعن بالرجال إلى المخاطر، إلى مخاطر حياتية ، إنهن يفسدن الشخصية الرجولية ويخرّبن معنويات الرجال. يتوجب على الرجال ضربهن إذا

أرادوا الاحتفاظ بكونهم رجالا. لقد كانت الكلمة الكبرى في التاريخ للرجال دائما . وما زالت لهم حتى اليوم. ينقصنا النظام ، يقول السيد فولتشممان. في الأزمان الجيدة كانت هناك عقوبة الإعدام. إذا ترك المرء كل شيء للموت الطبيعي فلن يحترم الناس القوانين. في الماضي كان لكل شيء قانون هام. أما الآن فقد باتت الأمور الهامة غير هامة، فأصبح الآن قانون هام للقضايا غير الهامة، وصار للقضايا الهامة قانون غير هام. لم يعد العالم منظما. تنقضه طبيعة قيادية، يقول السيد فولتشممان. وهذا ملاحظ في كل مكان، يقول السيد فولتشممان. حتى في قريتنا الصغيرة.

السيد فولتشممان يؤدي مسرح العرائس منذ سنوات كثيرة. إن مسرح العرائس - مثله مثل أي شيء له معنى في حياتي - علمتني إياه الحرب، يقول السيد فولتشممان. السيد فولتشممان يقف منتصبا كالشمعة ويرفع يده بالتحية قائلا: هايل، ضاعطا عينيه على شكل شق. ومن خلال هذا الشق تمر سيارة العدو ، يتخيل السيد فولتشممان أن سيارة العدو تنفجر وأشلاء الجنود تتساقط في الدماء. يظل السيد فولتشممان برهة من الوقت متحجرا فخارا وصدرة يعلو ويهبط مثل منفاخ . السيد فولتشممان لا يعرف إن كان الأمر قد وقع فعلا أم كان في تخيلاته فقط. السيد فولتشممان يقف منتصبا كالشمعة في الشارع أمام منزل في مدينة محاصرة ضاعطا عينيه على شكل شق متخيلا أن المنزل ينفجر فينفجر. مسرح العرائس يصيح السيد فولتشممان مرتجفا من الفرح. لقد خسرنا الحرب لأن الجنود الألمان لم يكونوا يستطيعون لعب مسرح العرائس، يقول السيد فولتشممان. هكذا نجوت أنا عبر الحياة والموت من الموت، يقول السيد فولتشممان. لقد أثبت ذاتي أمام العدو ، إنني أثبت ذاتي في جميع مواقف الحياة. لقد علمتني الحرب ذلك مثلما فعلت في كل ما له معنى في حياتي، يقول السيد فولتشممان. الحرب هي مدرسة الحياة، يقول السيد فولتشممان. السيد فولتشممان يعمن التفكير.

السيد فولتشممان على صواب دائما. السيد فولتشممان يدعي شيئا ما مدة طويلة حتى يغدو على صواب، وكلما طالت المحادثة يكون السيد فولتشممان محقا أكثر. ففكر في ذلك جيدا فسوف ترى أنني على صواب، يقول السيد فولتشممان. وكما ترى حضرتك فإنني محق هذه المرة أيضا، يقول السيد فولتشممان.

هل أنت شاحب ! ما زالت دماء الشباب في عروقك، يقول السيد فولتشممان. ماذا لديك من ذلك ! أنت لم تعش شيئا. أنت تعيش الكتب التي قرأتها. أنت لا تمتلك أية خبرة حياتية. إذا لم يعيش المرء طويلا فصعب عليه أن يعيش في زمن لا يحدث فيه شيء، يقول السيد فولتشممان.

أنت إنسان ضعيف، يقول السيد فولتشممان. أنت لم تعتد على أن يقول لك الإنسان كل شيء في

وجحك. ولكننا ما زلنا أصدقاء جيدين، أنت وأنا. أنت إنسان ضعيف. ولكن ينبغي أن يكون هناك أناسٌ ضعفاء، يقول السيد فولتشممان. والحقيقة أن ذلك جيد للناس الضعفاء فهم لا يعرفون إطلاقاً كم هم ضعفاء. وليس عليهم أن يثبتوا ذواتهم أمام العدو، فهم ضعفاء، يقول السيد فولتشممان. اللعنة مرة أخرى. هذا ليس مطلوباً منهم إطلاقاً، يقول السيد فولتشممان.

المصدر : Herta Mueller: Niederungen. Prosa. Muenchen. Karl hanser Verlag , 2010.

## في ذلك الوقت في مايو

لقد كان كل شيء جميلاً آنذاك في مايو.

أسماك الفوريللا. لم تكن هناك أسماك فوريللا.

ولكن كان معي كتاب فيه أسماك فوريللا قوس فرح. أعداد كبيرة منها. فوريللا ضائعة. كانت النوارس رمادية بصورة جميلة وتتصايح من الجوع. وكنت أريد ألا تكف عن صياحها بهذا الشكل الجميل.

كانت للبحر أمواج عكرة جميلة. كانت متسخة فقد كانت تحمل الطين معها. كان الطين جميلاً في البحر، فقد كان من الوحل.

بعيداً كانت السفن الحربية القتيلة الجميلة تقوم بمناورة. وقد شعرت بقليل من الخوف بسبب الضباب الاصطناعي. وكان ذلك جميلاً.

كان الرمل مليئاً بالمحار الميت وأصدافه المحطمة. كان لحمه الجميل الأبيض مفعماً بالألم الذي يشي بخدره الجميل جداً، وكان ملقى في الشمس.

كان الرمل مليئاً بطمي الطحلب البحري الذي كان يظل بارداً ورطباً حين يموت، ويلتصق ببطن القدم الأملس الأبيض. غير أن الشاطئ كان جميلاً على نحو وحشي وخالياً من البشر.

على الشاطئ أغصان جافة ملقاة ذات نتوءات خطيرة، فإذا هبت الريح، وهي تهب دائماً، يعتريها التشنج وتحاكي في اختناقها أسماك الفوريللا في كتابي، إلا أن تلك التي كانت في الكتاب لم تكن مختنقة، بل ميتة. وكان هذا جميلاً..

وكذلك الأسماك في البحر التي لم أكن أراها لأنها لا تأتي إلى الشاطئ، ولكنها كانت جميلة.

وعلى الشاطئ كانت الأغصان تتكسر مفرقة كما في غابة، فقد كان الشاطئ وحيداً على نحو جميل.

كانت حزم العشب ذات طعم لاذع كما في إبط متعرق وكانت الريح تهبّ حاملة ذلك على الوجه الجميل المتسمر للشمس.

في أكشاك البيع كانت هناك كولا باردة. وكانت الزجاجات جميلة، ومع كل رشفة كان الصقيع يزحف بشكل جميل على ظهري. لوازم الشاطئ علقت للتو فقط في واجهات العرض. وكانت قبعات القش مشغولة من ثغرات جميلة خشنة وقد أخرجتها الفتيات من غلاف ورقي أملس يخشخش في أيديهن. وكانت الفتيات يافعات وجميلات. وكن أيضاً فارغات ويتسمن باستغراب وتساؤل، وكان هذا جميلاً.

إحداهن كان لها شعر جميل سميك على جبهتها. والتي كانت في كشك الصحف كان لها شامة غامقة على الخد بشعرة جميلة سوداء. والفتاة في بار المقهى كانت فوق الخمسين وغير ودودة بصورة لطيفة مما يناسب الغضون الجميلة في وجهها. كان فيها شيء من عجفة طائر مستنقعات وحيرته وإمعانه في التفكير. وكان هذا جميلاً.

والصيادون المستنون في الحانة كانوا فاسدي الأخلاق بشكل جميل. كانت لهم لحي شعناء ودبقة. وكانوا يشربون وينشدون أغاني لصوص جميلة خشنة. وكانوا يوقعون أغانيهم بالضرب على الطاولة بأيديهم الجميلة القذرة حتى تستوي الطاولة على الماء. وكان هذا جميلاً.

وتحت أظافرهم كانت الدماء عتيقة جدا وسوداء جدا وجميلة جداً. وفي أعينهم كان مخاط جميل ذو خضرة فاتحة. وهذا أيضاً كان أكثر رطوبة وبرودة من الطحلب في البحر. وما كان فيها من ملح كان أكثر صلابة وغير شفاف. وكان هذا جميلاً.

وحين يشربون كثيراً تعوم في أعينهم جثث الأسماك التي اصطادوها في هذا اليوم. وكانت أعينهم قادرة على أن تشرب كثيراً وأن تكذب كثيراً وكانت جميلة ومبتهجة، وكانت الجثث في داخلها جميلة ومبتهجة أيضاً. والأكثر جمالاً كان البحر.

كان الرمل كأنه امتداد للبحر. وكنت أستلقي عليه كما لو على طرف إصبع جميل بارد. كنت أستلقي على الظهر وانظر نحو الأعلى. تحت الغيوم كانت قناديل البحر الجميلة المخاطية تمارس الحب فيمتلاً البحر من الزبد جرّاء ذلك.

وكان اللهاث مرتفعاً وجميلاً فاعتراني الدوار غير أنني لم أكن أستطيع الترنح لأني كنت مستلقية على الظهر

وكان الرمل يتحرك إلى هذه الناحية وإلى تلك حتى ليخيل للمرء أن ذلك كان بفعل الريح، بيد أن

ذلك لم يكن بفعل الريح. وكان هذا جميلاً..  
وبعد الحب افترست قناديل البحر الجميلة المخاطية بعضها بعضاً فصار البحر هادئاً ومحمراً، كان  
ممتلئاً بالماء وممتلئاً بالدم، وكان هذا جميلاً.  
وفي الأعلى كانت القرية. وعلى المرء أن يصعد أدراجاً كثيرة كانت مرتفعة ورمادية على نحو جميل.  
وحيث لم تكن مرتفعة كانت بارزة. وكان ذلك جميلاً.  
ومشيت عليها فانهارت. وإلى جانب الدرج كان صندوق البريد الصدئ معلقاً وكانت الريح أحياناً  
تصطمم به فينبعث رنين أجوف وجميل من رسائله.  
بيد أن كل شيء كان جميلاً آنذاك في مايو على شاطئ البحر الأسود.  
آه، لقد نسيت، وأنت أيضاً كنت جميلاً آنذاك. وربما تتذكر أنني قد أرسلت لك أحياناً بطاقات  
بريدية فارغة من البحر الأسود. وكانت جميلة.

المصدر: Herta Mueller: Niederungen. Prosa. Muenchen. Karl hanser Verlag, 2010

## ليلة الدُّج\*

هيرتا مولر

من يصدقني بأن الدج كان السبب في موت مارتن..

لم أسجل عدد السنوات، حين بدأ ما أحدثك عنه كانت الريح قد سقطت بالغيوم الحمراء على أوراق  
الشجر فوق قمة التل وراء القرية. كان الصباح إبريقاً من الزجاج و كانت قريتنا كومة من الحجارة  
في قعره؛ صغيرة و سوداء مثل خنفساء تحفر في روث العالم. فقط كان طائر دج يطير فوق الإبريق.  
كان رأسه أحمر لأنه جاء من التل و حمل معه غيماً. و تحت طيرانه كان بيتنا و باحتنا غير مرئيين و  
قد غمرتهما ظلال كبيرة. كنت أحمل حطباً في مئزري. كان الحطب يكاد يخدش بطني تحت المئزر  
في أثناء المشي. نزل يعقوب الدرج الأرضي بحقيبة خشبية مصبوغة بالبني. كانت الحقيبة تطقطق.  
ترك يعقوب الباب الأرضي مفتوحاً على مصراعيه. كان وراء ظهره ثقب أسود. كانت تنبعث منه  
رائحة الدقيق و الفئران الميتة. بقيت واقفة مع حطبي إلى جانب الدرج الأرضي. قلت: يعقوب،  
قل له مرة ثانية إنه يجب ألا يذهب. صمت يعقوب و حمل الحقيبة من أمامي. أمسك بالباب  
مفتوحاً و أنا مررت من أمام يده بحطبي إلى الغرفة. تركت حطبي يسقط في السلة بجانب الموقد.  
كان عالماً بأصابعه نسيج عنكبوت و ذباب ميت. كان مارتن يقف أمام المرأة يسرح شعره. قال

يعقوب: مارتن، قالت الأم إن عليّ أن أقول لك مرة ثانية بأنك ينبغي ألا تذهب. كان يعقوب ينظر إلى الحقيبة، و كان مارتن ينظر في المرآة. كان مفرقه يمتد مثل خيط من جهته عبر قمة جمجمته. كان وجهه أحمر مثل رأس الدج. مثل الغيوم فوق التل. سحب مارتن المشط خلال شعره. نظر إلى وجهه في المرآة و صرخ: إذا كنت أريد الذهاب فاتركوني أذهب. كل شخص ذي شأن في القرية يجب أن يذهب. لمعت عيناه عميقاً في الزجاج. وضع يعقوب خمس بيضات دجاج كبيرة على الطاولة، و قال: أعطيه بيضاً مسلوفاً ليأخذه معه في طريقه. وضعت البيضات بالمعلقة لتعوم في الماء الساخن في الإناء. كنت أبكي و كانت البيضات تدور في الإناء. لف مارتن لحم خنزير مقدداً في ورقة زبدة، و رغيفاً من الخبز و بصلة ضخمة في جريدة قديمة ووضعت كل ذلك في الحقيبة بين الغيارات. حمل له يعقوب قميصاً و قال: خذ معك الجوارب المصنوعة من صوف الخراف من أجل الشتاء. رفعت المئزر أمام وجهي و قلت بصوت مرتفع حتى إنني كنت أصرخ تقريباً: مارتن، أفرغ الحقيبة و ابق هنا. لم أقل أي كلمة عن الدج. كانت البيضات تدور في القدر. كان الجمر يتوهج من خلال قرص الموقد المحمّر. مشى يعقوب و مارتن أمامي. بين خطواتهما كانت تتعلق الحقيبة المصبوغة بالبني. لم أكن أعرف من يحملها. ربما كان يعقوب، ففي قريتنا كان الآباء يحملون الحقائق، عندما يذهب أبناؤهم إلى الحرب، حتى المحطة، حتى حافة الحرب. لقد رأيت مع أولئك الذين ذهبوا قبل مارتن. رأيت الآباء مع الحقائق من خلال زجاج النافذة يذهبون. و رأيت الأبناء يمشون بأيدي فارغة. و رأيت خطاهم. عند حافة الرصيف و على العشب تقريباً. في كل مرة أكون فيها واقفة وحدي في الغرفة أراهم يمشون. و في كل مرة كنت أفكر: ما أجمل أن مارتن لا يقف في الغرفة و يرى. كنت أفكر: ربما لا يلاحظ أعداد الذين يذهبون. غير أن الدج كان يطير من بيت إلى بيت. كان يطير عبر القرية. كان يطير عبر السنة.

مضيت وراء يعقوب ومارتن. كانا يمضيان مسرعين و بينهما و بيني كان العشب يرفرف من الشارع. و أنا كنت أمشي بهدوء لئلا أزعج خطاهما بظهري الذي أحمله متدياً. كانت قمم التلال تعوم خلال أوراق الشجر. كان الصباح كبيراً. كان الإبريق صحناً بحافة عريضة شفافة. الماء وقف بارداً فوق القرية. كنت أبحث و أنا أمشي عند حافته و خطر في بالي أن أمي قالت مرة عندما كنت ما أزال طفلة: الماء مرآة شريرة. إنه يرتعش و يجعلنا هرمين. انحنيت برأسها فوق صحن الغسل حين قالت ذلك. و بينما كنت أفكر في ذلك رأيت كلا الظهريين العريضين يمضيان أمامي. سمعت عبر الماء فوق القرية الدج يغرد. بحثت عنه بكلتا العينين، بالوجنتين، بالجبين. لم يكن في الماء فوق القرية و ما كان يغرده كان مرتفعاً و لم يكن أغنية. كان المعطف يرتجف على ظهر مارتن. و قد خطر لي بعد أن عجزت عن الاحتفاظ بهذا الارتجاج في العينين أنني سمعت هذه الأغنية تنبعث من معطف

مارتن الشتوي. من ظهر مارتن.

كنا نقف على التل في الغابة العارية. في الثلج. كان الدرب عرضة لهبوب الريح. لم يكن الحصانان يرغبان في جر العربة. كنا نتبع خطأً أصفر. كان ذلك هو النهر. و لما وصلنا إلى أعلى التل جاءت عصابة من الذئاب تعوي علينا. كانت ضخمة جداً و سوداء جداً حتى أن الثلج قد أصبح رمادياً. حتى أن الأشجار باتت أكثر كثافة. حتى أن الغسق قد حطَّ على الغابة فأعتمت. أشعلنا ناراً في حزمة من القش لإبعاد الذئاب. اشتعلت النار واهنة. كان الدخان أسود. و حول الدخان ذاب الثلج. كان الحصانان يخشخشان بالأطباق. و كانت العربة تنعق. لَوْح يعقوب بالسوط الجلدي في الهواء في دوائر و حشية صارخاً. و أنا بكيت. وحده كان مارتن يقف بعينين كبيرتين خلف شجيرات برقوق السياج التي كانت أعلى منه وأكبر من مظلي المطرية السوداء التي كان يلعب بها. كانت عصابة الذئاب على قمة التل. كان الذئبان اللذان يقودان القطيع عبر الثلج قرييين جداً حتى أننا أبصرنا أعينهما تلمعان و رأينا البخار الأبيض يتصاعد من بين أنيابهما. فتح مارتن مظلة المطر و ركض نحو النار. نظر الذئبان إلى مظلة المطر السوداء و بقيا واقفين. انتزع يعقوب المظلة من يد مارتن واتجه بخطوات قصيرة غير واثقة نحو الذئاب. ركضت إلى العربة و تناولت مظلة يعقوب المطرية و مشيت بالمظلة المفتوحة بخطوات أكثر قصرًا و أقل ثقة إلى جانب يعقوب. أدارت الذئاب ظهورها لنا و مضت تعوي خلال الثلج الذي كانت قد داسته بأقدامها عبر النهر في الوادي. سعدنا إلى العربة بالمظلتين المفتوحتين و قفلنا راجعين إلى القرية. بعد أن مشينا قليلاً أشعلت مصباح العاصفة. كان يتأرجح بضوئه الواهن بين العجلات. اضطجع مارتن خلف المقعد و وجهه على حزمة قش و نام. كان ينام منطوياً على نفسه. و عندما ألقيت غطاء على قدميه ارتجف ظهره. سمعت من خلال ظهر معطفه الشتوي أغنية. كانت مرتفعة جداً و لم تكن أغنية. و لما وصلنا إلى طرف القرية عند الطاحونة أخذ الثلج يتساقط بندفات كبيرة شعثناء. في الباحة نفخت على المصباح و نفض يعقوب الثلج عن مظلي المطر الكبيرتين السوداوين. سحبت مارتن من العربة و حملته و هو نائم إلى الغرفة لم يشعر بأني أحمله. وضعته على السرير بالمعطف. و في الصباح لمَّا دخلت إلى غرفته كان مارتن يستلقي مستيقظاً في السرير و سأل فيما إذا كنا عند العمدة ليني. قلت: كلا. نزعته عنه معطفه الشتوي. كان جورباه مبللين من الثلج و لما نزعتهما عن قدميه بكى و قاوم. كتب يعقوب في ذلك الصباح رسالة إلى أخته بينما كان يزيح الثلج عن مقعد السطح و كان الثلج يسقط في الباحة. كان يكتب بوجهه أكثر مما بيده. كنت أرى سبابته الطويلة عندما كان يقرأ الرسالة للمرة الثالثة و بصوت أعلى من السابق في كل مرة. كانت الإصبع تمر على كل سطر كتبه. قرأ أننا سوف نأتي في الربيع، و أن الثلج يغمر الطرقات الآن. و أن الجار الذي كان يحتطب في الغابة كاد يقع فريسة



للذئاب. طوى يعقوب الرسالة. كنت أفكر في الأغنية التي كان مارتن يغنيها من ظهر معطفه الشتوي على طريق القرية. وضع يعقوب الرسالة في المغلف، و قال: ستكون نهاية ليني. سوف تموت في الشتاء لأنها صماء و لا أحد يزورها. و حين تموت لن يعثر عليها أحد من القرية. في المحطة كان ما يزال يقف هناك أربعة آباء، و أربعة أبناء، و أربع حقائق. كان مارتن الخامس. و لما انطلق القطار لَوْحوا و غنوا. صار الغناء خافتًا ثم صمت. الأيدي فقط كانت ما زالت تلوح في الدخان إلى جانب القطار.

كنا نتحدث نادرًا عن مارتن. و حين كنا نفعل لم يكن الحديث عنه. وإذا فعلنا كانت فقط جملا قصيرة عن ذلك، أين ينام الآن، و ماذا يأكل، و فيما إذا كان يشعر بالبرد. و في إحدى الليالي، في الشتاء، دخل يعقوب إلى الغرفة المعتمة وألقى غطاءه فوق الكرسي. كنت أسمع كيف يتأوه و لاينام. فجلست على سريري و قلت: لقد كان الدج في اليوم الذي ذهب فيه يعقوب كبيرًا جدًا لدرجة أنه غمر الباحة. و كان يغرد بصوت مرتفع جدًا. لقد بعث الجنون في الريح مع حربها، إنه يطير منذ شهر ولا يتوقف. على الطريق إلى المحطة غنى ظهر مارتن بيني و بينك أغنية. أدار يعقوب وجهه نحوي وصرخ: ما الذي تحدثين به عن الحرب وعن العالم. أنت لم تري أي شيء بعد من العالم. بكيت بهدوء لدرجة أن صمتًا قد خيم. صمت يعقوب و كانت عيناه تلمعان.

حينما جاء الربيع كنا نجلس كثيرًا في الحديقة و في الباحة. كان يعقوب يجلس يوميًا في حديقة البرسيم على جذع شجرة لدرجة أنني حسبت أنه نائم و ذهبت لإيقاظه. ذهبت عبر باب الحديقة و عبر حديقة البرسيم باتجاه جذع الشجرة. و لما أردت وضع يدي على كتفه فتح عينيه و صاح: منذ متى تقفين هنا؟ لم يكن نائمًا، ولأنه أصم فلم يسمع خطواتي. كان الخريف دافئًا. كانت أوراق الشجر تتوهج على التل. ناول ساعي البريد يعقوب عبر السياج بطاقة من الميدان. ذهب يعقوب بها إلى الغرفة و جلس إلى الطاولة و قرأ. قرأ البطاقة ثلاث مرات و في كل مرة بصوت أعلى من المرة السابقة. لأنه لم يعد يسمع صوته في أثناء القراءة. جلست بجواره إلى الطاولة. رأيت السرير. رأيت جوارب مارتن المصنوعة من صوف الخراف ملقاة على الملاءة الكتانية. كانت مبلولة بالدم. عندما أردت نزعها عن قدمي مارتن قاوم.

كانت ليني قد ماتت منذ ثلاثة عشر عامًا. يعقوب لم يضع الغطاء على نفسه منذ ليلة الدج تلك إطلاقًا.

و حين جاء الشتاء ظل أيضًا نهارًا في السرير. كان صدره يصفر و كان يبصق زبدًا. مات في هذا الشتاء الذي كان فيه الثلج من الطين و كان يذوب حاملًا ميس القرية. كانت القرية متسخة جدًا و سوداء

جدًّا في هذا الشتاء بحيث بدت مثل خنفساء تحفر في روث الأرض.  
لم أر شيئًا من هذا العالم لذلك فإنني لم أفهم شيئًا. فقط أفكر هذا بيني وبين نفسي عندما أشاهد  
أوراق الشجر على التل بان قرينتا بقيت صغيرة جدًّا في إبريق ضخم. ولا أحد يبحث عنها ولا أحد  
يعثر عليها. ولم تكن في نظر العالم سوى عرض في الحرب.  
كانت الغيوم تسبح كل صباح خلال أوراق الشجر. كانت ضمادًا في الحرب حول التل.  
من يصدقني بأن الدج كان السبب في أن مارتن قد مات.

\*الدج: طائر غرّيد من طيور الغابات قريب من فصيلة الشحارير (المترجم )

المصدر: Herta Mueller: Drueckender Tango. Erzählungen. Rowohlt Verlag, Hamburg, 1996.